

## الفلسفة الوجودية بين المنطلقات الفكرية والتطبيقات التربوية (دراسة تحليلية نقدية)

### Existential philosophy between intellectual premises and educational applications (a critical analytical study)

د. حاتم صيد<sup>1\*</sup>

<sup>1</sup> جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، Hatem.sid@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/05/11، تاريخ القبول: 2022/05/29

**ملخص:** هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن المنطلقات الفكرية للفلسفة الوجودية التي تشمل نظرتها إلى كل من الوجود، والإنسان، والمعرفة، والقيم، وكذا بيان تطبيقاتها التربوية التي تشمل نظرتها إلى: مفهوم التربية الوجودية وأهدافها، وكذا إلى الطالب، المعلم، المقرر الدراسي، طرق التدريس. وكذلك نقدها بالتعرف على أبرز إيجابياتها وأهم سلبياتها.

وكشفت الدراسة عن عدد من النتائج، من أهمها: أن أبرز المنطلقات الفكرية للفلسفة الوجودية هي: في كونها تعطي الأولوية لفكرة أسبقية الوجود على الماهية. و"التربية الوجودية ليست الإعداد للحياة عند المثالية أو هي الحياة حسب النظرة البراجماتية، بل هي تحقيق الذات للفرد ليكون ما يريد لا ما يريده المجتمع. والعلاقة بين المعلم والتلميذ في الفصل لا كشخصية مثالية ينبغي تقليدها كما في المثالية، أو لنقل المعلومات كما في الواقعية، أو كمستشار في مواقف حل المشكلات كما في البراجماتية، وإنما وظيفته الأساسية في مساعدة كل طالب بصورة فردية في رحلته نحو تحقيق الذات. وإن تأثير المعلم الجيد على الطالب يمتد إلى حياته الراشدة.

**الكلمات المفتاحية:** فلسفة التربية؛ الفلسفة الوجودية؛ فلسفة التربية الوجودية؛ التربية الوجودية.

**Abstract:** This study aimed at revealing the intellectual premises of existential philosophy, which includes its view of existence, man, knowledge, and values, as well as showing its educational applications, which include its view of: the concept of existential education and its objectives, as well as the student, teacher, course, teaching methods. As well as critique it by identifying the most prominent pros and cons.

The study revealed a number of results, the most important of which are: The most prominent intellectual premises of existential philosophy are: in that it gives priority to the idea of the primacy of existence over essence. Existential education is not the preparation for life according to the ideal, or it is the life according to the pragmatic view, but rather it is the self-realization of the individual to be what he wants, not what society wants, or as a consultant in problem-solving situations as in pragmatism, but his primary function is to help each student individually in his journey towards self-realization. The influence of a good teacher on the student extends to his adult life.

**Keywords:** Philosophy of Education ; Existential Philosophy ; Philosophy of Existential Education ; Existential Education.

\* المؤلف المراسل:

**1- مقدمة:**

إنّ فلسفة التربية هي الاستشراق المنهجي للمستقبل التربوي في علاقته بمستقبل المجتمع بوجه عام، وذلك عن طريق النظرة النقدية الشاملة إلى الواقع التربوي وما يحيط به وما يؤدي إليه. ويبادر علماء التربية إلى القول إن المسألة تختلف باختلاف زاوية الرؤية، فإن كنا نريد مناقشة (المجال) أو (النسق المعرفي) فنحن بإزاء (فلسفة التربية)، لكننا إذا كنا بإزاء مناقشة (مواقف) لمربين وفلاسفة و(اتجاهات) فنحن أمام (فلسفات للتربية). وتعدّ فلسفة التربية الوجودية إحدى هذه الفلسفات.

سنتطرق في مقدمة هذه الورقة البحثية إلى إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، ثم نقف على أهميتها، ونتناول أهدافها لنصل إلى بيان منهج الدراسة المستخدم فيها مبرزين نمطها.

**1.1- الإشكالية:**

إنّ فلسفة التربية تساعد المربين على تطوير نظرتهم للعملية التربوية، وعلى توجيه مجهوداتهم وتنسيقها، وعلى تحسين طرائقهم وأساليبهم في التدريس والتقويم والتوجيه والإدارة، وعلى رفع مستوى معالجتهم للمشكلات التربوية ومستوى تصرفاتهم وأحكامهم وقراراتهم، وهذا يلزمهم بضرورة العودة إلى المعيار العملي للتأكد من نجاح أو فشل فلسفة تربوية ما.

ولقد برزت الفلسفة الوجودية كتيار جديد للتفكير الفلسفي؛ نتيجة للأوضاع العامة التي خلفتها الحربان العالميتان الأولى والثانية من مظاهر قلق وإحباط وفراغ روحي، ومن إحساس مرهف بهشاشة الوجود الإنساني وضعفه؛ فاتجهت هذه الفلسفة بكل أجنحتها نحو تعرية الوجود البشري، وفضح مظاهر علله وقيوده ورواسبه التي تكبل حريته، فضلا عن دعوتها لإراحة عقل الإنسان من قوالب التفكير الجامدة والخروج عن المألوف، وترك العقل يفكر بحرية دون هيمنة لأي دين أو فلسفة تقليدية؛ وبهذا انتشرت الوجودية وذاع صيتها في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب تصديها لمشكلات الإنسان الغربي.

وهي فلسفة تعنى بالأشياء الملموسة التي يمكن أن نتحسسها بحواسنا الخمسة، ولا تبالي بالصور الذهنية المجردة كالفلسفة المثالية وغيرها من الفلسفات. وتعتبر فرنسا المقر الأساسي التي انطلقت منه، وتعتبر الأوضاع العامة التي خلفتها الحربان العالميتان سببا مركزيا في ظهورها، وتعتبر هذه الأخيرة أسلوب في التفلسف. وترى أن الوجود (الحسي) أسبق من الماهية (الوجود الذهني). وأولت هذه الفلسفة الإنسان جلّ اهتمامها، وعظمت من شأنه على حساب المجتمع والكون، وأقصت الجانب الميتافيزيقي.

هنا حاول الوجوديون قلب الأوليات في فكر الإنسان، فحاولوا إعطاء الأولوية لوجود الذات على الماهية أو الجوهر التي تمتلكه تلك الذات حسب فلسفة أرسطو، أو الذات الواعية الكاملة حسب فلسفة هيجل، فأعطوا الأهمية القصوى لامتلاك الإنسان الحرية المطلقة في التفكير والتطبيق، فخلعوا الأفكار الطوباوية المتوارثة من الحضارات القديمة والديانات الانسانية والقيم الأخلاقية المتحجرة التي تعيق حرية التفكير والشعور والتصرف.

والوجودية كطريقة للتفلسف ترجع إلى الفيلسوف الدانماركي "كيركي جارد (1813 - 1855) الذي يعدّ أول من أعطى لكلمة وجود معنى، عندما صاغ أفكاره الفلسفية في قالب درامي مميز منتقدا المقولات

العقلية المجردة، ثم اتسع نطاق التفلسف الوجودي على يد عدد من كبار فلاسفة الوجودية، أمثال "هيدجر" و"جبرائيل مارسيل" و"كارل ايسپرس" و"جان بول سارتر" الذين يعدّون من تلامذة "كيركي جارد"، وعملوا على إخراج الفلسفة الوجودية إلى حيز الواقع وأذاعوا شهرتها.

إنّ الوجودية فلسفة فردية إلى حد بعيد، تعتمد بدرجة كبيرة على العوامل الذاتية والحدس والاستبطان والالتزام العاطفي والشعور بالوحدة. وعلى هذا فإن أكثر الناس إعجابا بالوجودية هم أولئك الذين يرون أن كل شيء في الحياة الحديثة عديم المعنى وسخيف وقاس ومخيف، ويشاركهم أيضا أولئك الذين يشعرون بأنهم ابتلوا بالمؤسسات التي كونتها المجتمعات التكنولوجية الصناعية، والتي يشعرون إزاءها بفقدان الهوية وانعدام الحرية.

وينقسم رواد الوجودية إلى مجموعتين، الأولى الوجودية الدينية (المسيحية). والثانية الوجودية الملحدة وهي الأكثر شهرة في العالم. والوجودية بمعناها الأخير: هي مذهب يدعو الإنسان إلى التخلص من كل موروث عقدي أو أخلاقي، وممارسة الإنسان لحياته بحرية مطلقة دون أي قيد. وينتشر هذا المذهب في فرنسا بوجه خاص وبلاد الغرب بوجه عام.

وتهدف الورقة البحثية الحالية إلى الكشف عن المنطلقات الفكرية للفلسفة الوجودية، وبيان تطبيقاتها التربوية، بالإضافة إلى نقدها من خلال إبراز أهم إيجابياتها وسلبياتها. أما المنطلقات الفكرية في هذه الدراسة فيقصد بها الأسس والأصول والمبادئ الرئيسية التي قامت عليها الفلسفة الوجودية، وتشمل نظرتها إلى كل من الوجود والإنسان والمعرفة والقيم. في حين التطبيقات التربوية فنعني بها نظرة الفلسفة الوجودية إلى العناصر الرئيسية للمنهج المدرسي بمفهومه الواسع وهي: التربية وأهداف التربية، الطالب، المعلم، المقرر الدراسي، طرق التدريس، وأساليب التقويم.

## 2.1- تساؤلات الإشكالية:

استنادا إلى الإشكالات السابقة؛ تجعلنا نطرح بإجمال التساؤلات المركزية التالية:

- 1- ماهي الدلالة التي يتضمنها كل من مفهومي الفلسفة الوجودية والتربية الوجودية؟ وهل اتفق الباحثون في تحديدهما؟ أم تضاربت فيهما التصورات والمعالجات؟ وماهي أهدافهما؟
- 2- ماهي المنطلقات الفكرية للفلسفة الوجودية والتربية الوجودية؟ وماهي الأسس والمبادئ الرئيسية التي قامت عليها؟
- 3- ماهي نظرة الفلسفة الوجودية إلى العناصر الرئيسية للمنهج التدريسي بمفهومه الواسع وتطبيقاته التربوية؟

4- ماهي أهم الانتقادات الموجهة لفلسفة التربية الوجودية من خلال إبراز أهم إيجابياتها وسلبياتها؟

## 3.1- أهمية البحث:

ترجع بذور الوجودية كحركة أو تيار أو حتى مذهب إلى الكاتب الدانماركي (سورين كيرك جارد). وتعمق فيها فيما بعد الفيلسوفان الألمانيان (مارتن هايدجر) و(كارل جاس برز)، ومن ثم الفرنسيون: جان بول سارتر، سيمون دي بوفوار، وغابرييل مارسيل، والبير كامو وغيرهم. ويمكن القول إنّها ظهرت بشكل

بارز في أوروبا عقب الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، ابتداءً بألمانيا، ثم فرنسا، وأخذت فيما بعد تنتشر في بقية الأقطار الأوروبية، وبعدها في العالم بوجه عام، ليبدأ وجودها بالانحدار مع نهايات السبعينيات وبدايات الثمانينيات من القرن العشرين.

تتجلى خطورة الفلسفة الوجودية في كون تأثيرها يمتد حتى عصرنا الحاضر، حيث يلاحظ أنها قد أثرت في كثيرٍ من النظم التربوية والتعليمية في العالم. وكان تأثير وصدى الوجودية على التربية قد أثر جزئياً في بعض البلدان مثل الأخذ بفكرة المدرسة بدون فصول دراسية في المرحلة الابتدائية، أو في توزيع التلاميذ على مستويات في المادة الدراسية الواحدة، والاهتمام بالتدريس الفردي وتشجيع التعلم الذاتي. ولكن كان أثر الاتجاهات الوجودية في التعليم الجامعي أكبر من تأثيرها في التعليم العام، وخاصة في التعلم عن بعد، والتوسع في نظام الاختيار في المواد الدراسية والدراسات المستقلة، وفتح باب القبول في التعليم الجامعي دون شروط المستوى المحدد بنظام، والإيمان بحرية المتعلم ومسؤوليته فيما يتعلمه، وأصبح من حق الطلبة في بعض الجامعات المشاركة في تحديد محتوى المواد التي يدرسونها والمساهمة في تقييم مدرسيهم. (بدران؛ محفوظ، 1994، 271-272)

#### 4.1- أهداف البحث:

بسبب أهمية موضوع فلسفة التربية عموماً وفلسفة التربية الوجودية على وجه الخصوص، وعظم وخطورة أضرارها، والتحديات التي تواجه المنظومة التربوية في العالم العربي على الصعيد الداخلي والدولي؛ تأتي هذه الورقة البحثية، التي تهدف إلى معرفة الفلسفة الوجودية بين المنطلقات الفكرية والتطبيقات التربوية من منظور نقدي كهدف مركزي عام.

إذ لا يتسنى لنا معرفة ذلك إلا بالوصول إلى معرفة الأهداف الفرعية التالية:

- 1- توضيح مفهومي الفلسفة الوجودية والتربية الوجودية وأهدافهما.
- 2- تسليط الضوء على المنطلقات الفكرية للفلسفة الوجودية.
- 3- كشف ومعرفة التطبيقات التربوية للفلسفة الوجودية.
- 4- بيان الانتقادات الموجهة لفلسفة التربية الوجودية من خلال إبراز أهم إيجابياتها وسلبياتها.

#### 5.1- منهج البحث ونمط الدراسة:

طبّق الباحث في دراسته المنهج الوصفي " الذي يعتمد على دراسة الواقع، ويهتم بوصفه وصفاً دقيقاً، ويعبّر عنه تعبيراً كيفياً وكمياً " (بوحوش، 1995، 129)، واختار الباحث بشكل أدق أحد أنواع المنهج الوصفي لتطبيقه في هذه الورقة البحثية، وهو **البحث الوثائقي**، والذي يقصد به: " الجمع المتأنى والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع البحث، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها؛ بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث". (العساف، 2003، 191)، كما استخدم الباحث في هذه الدراسة أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية باعتباره أحد تقنيات المنهج الوصفي التحليلي، حيث تتبع الباحث المراجع، ومن ثم استقصى مضامينها الفلسفية التربوية.

ولقد تم اختيار هذين النوعين من أنواع المنهج الوصفي لمناسبتها لطبيعة هذه الدراسة النظرية، وملائمتها لأهدافها وأسئلتها. ومن الناحية المنهجية أيضا يمكن اعتبار هذه الدراسة من حيث نوعيتها أو نمطها ضمن الدراسات والبحوث النظرية التحليلية النقدية، وتتدرج بدورها ضمن الدراسات الأساسية في مدلولها العام وحقلها الشامل.

## 2- المنطلقات الفكرية للفلسفة الوجودية:

سننتظر في هذا العنصر إلى مفهوم الفلسفة الوجودية ومبادئها، لنصل إلى تصورات الفلسفة الوجودية، التي تشتمل على نظرتها إلى كل من الوجود والإنسان والمعرفة والقيم.

### 1.2- مفهوم الفلسفة الوجودية:

#### 1.1.2- المعنى اللغوي:

في المعجم الفرنسي كلمة الوجود يقابلها باللغة الفرنسية: ETRE وأصل ETRE مشتق من الكلمة اللاتينية ESSE والتي تعني "أن يكون"، وضدها العدم أو اللاوجود. (Larousse, 1980, p. 412) الذي يعني الخروج من الشيء والبقاء في العالم. وكلمة وجود في اللغة اللاتينية تعني "Existencia". ويشكل الوجود أهم مفاهيم هذه الفلسفة والمقصود به الوجود الداخلي للإنسان.

وفي المعجم العربي الوجود لُغَةً كلمة مشتقة من وجد، يجد، وجودا بمعنى ظهر للعيان، أي أن هناك مقولة ظواهرية. (الحفني، 1990، 582) والوجود لُغَةً: ضده العدم. (اللحام، 2005، 826). كما تعني كلمة وجود في اللغة العربية الحضور. وينقسم الوجود إلى قسمين: الوجود الخارجي والوجود الذهني. (صليبا، 1882، 559)

**الأول الوجود الخارجي:** وهو عبارة عن كون الشيء في الأعيان وهو الوجود المادي، أي: الموجودات المشاهدة والمحسوسة، وهو ما به تصبح الماهيات المعقولة حاصلة ومتحققة بالفعل.

**الثاني الوجود الذهني:** وهو عبارة عن كون الشيء في الأذهان، وهو الوجود العقلي أو المنطقي أي: الموجودات غير المشاهدة وغير المحسوسة. والوجود عند الفلاسفة مقابل الماهية.

إن الوجود هو الحقيقة الواقعية الدائمة أو الحقيقة التي نعيش فيها، وهو بهذا المعنى مقابل للحقيقة المجردة والحقيقة النظرية. (الجرجاني، 1405هـ، 247)، لأن الماهية هي الطبيعة المعقولة للشيء، فلا تتضمن الإشارة إلى الواقعية التي يتضمنها الوجود. (غلوس، 1985، 20-21)

الوجود: تحقق الشيء في الذهن أو في الخارج، ومنه الوجود المادي أو في التجربة، والوجود العقلي أو المنطقي، ويقابله عند المدرسين الماهية أو الذات باعتبار أن الماهية هي الطبيعة المعقولة للشيء، وأن الوجود هو التحقق الفعلي له، ومن الصعب وضع تعريف لها لما اتسمت به من اختلافات بين مفكريها، كما أنّ هذه الاختلافات امتدت إلى التسمية، فبعضهم يقبل لقب فيلسوف وجودي، في حين هاجم البعض الآخر منهم كلمة فلسفة وجودية، ويوافق "مارسيل" على أن يدعى بفيلسوف وجودي مؤمن مسيحي.

### 2.1.2 المعنى الاصطلاحي:

تعتبر الفلسفة الوجودية " Existentialism " عند المتأخرين لونا من ألوان المذهب الحسي إذ تتكرر المعاني الكلية، وهي من أحدث الاتجاهات الفلسفية التي جاءت كثورة عنيفة ضد الفلسفات التقليدية في كل صورها، والتي نظرت إلى الإنسان مجردا بعيدا عن أرض الواقع، في حين ارتدت الوجودية إلى الإنسان المشخص ومواقفه الواقعية التي تربطه بزمانه وكافة أحواله، واعتبرته مبدأ الحقيقة. إنها تجربة حياة تنطلق من الوجود الفعلي للإنسان معتبرة أن وجوده سابق على ماهيته.

ويرى بعض المفكرين أن الوجودية ليست مذهباً فلسفياً بل اتجاهاً ينتشعب شعباً عديدة متباينة، ففيها اتجاهات فكرية حرّة تطبيقاً من كل المعتقدات الموروثة، ويمثلها "هايدجر" و"جان بول سارتر"، واتجاهات مقيدة تشد نفسها إلى عقيدة إيمانية مسيحية ويمثلها "كارل يسبرز" و"مارسيل"، والاتجاهين يعترفان "بكيرك جارد" بوصفه الأب الروحي لها بجميع اتجاهاتها. (جائر، 1970، 33)

ورفضت هذه الفلسفة النظرة التقليدية للفلسفة على أنها يجب أن تكون محايدة، وترى أن من مهامها تكوين العقل المستنير بالعاطفة، وتؤمن بأن الكون ليس له من معنى بمعزل عن الإنسان، فهو ليس مجرد حدوث أو إمكان شيء اتفق على أنه هنالك. (تيلر، 1977، 79) و (فرحان، 1989، 113)

**والوجودية بالمعنى العام** حسب ما يراه "سورين كيرك جارد" تيار فلسفي يعطي من قيمة الإنسان - حسب زعمه -، ويؤكد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، يستطيع أن يسبر غور وجوده، ولا يحتاج إلى موجه، بمقدوره أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته، ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياريه الحر دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته، وعليه أن يختار القيم التي تنظم حياته. والوجودية بهذا المعنى جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم. ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار. (عبد الكافي، 2006، 485)

**وبالمعنى الخاص:** هي المذهب الذي عرضه "سارتر" في كتابه "الوجود والعدم"، وخلاصة مذهبه أن الوجود متقدم على الماهية، وأن للإنسان مطلق الحرية في الاختيار. (سارتر، 1966، 77-78) ولكن كيف يهتدي الإنسان إلى وجود نفسه؟ وما الوسيلة التي يمكن أن تعرّفه بذاته؟ أيكون ذلك عن طريق التحليل النفسي والمراقبة الباطنية...؟ أم يكون ذلك عن طريق الأخلاق المقررة وأصول الآداب المتواضعة...؟ إن هذين الاتجاهين لا يُرضيان أقطاب الوجودية في التعرف على الوجود الفردي عند الإنسان.

إنّ هناك طريقاً يرتضيه "سورين كيرك جارد" للوصول إلى هذا السبيل وذلك عن طريق الصدمة العاطفية القوية، أو عن طريق يقظة الضمير أو بضربة من ضربات التجارب. إلا أن أب الوجودية الحديثة وهو "جان بول سارتر" نراه يقول: "إنّ الإنسان لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا بإطلاق العنان لرغباته وشهوته، بحيث يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء، ولا يبالي بالعرف أو الدين". فالوجودية عند سارتر تقوم على الحرية المطلقة التي تُمكن الفرد من أن يصنع نفسه، ويتخذ موقفه كما يبدو له تحقيقاً لوجوده الكامل. والوجودي في مذهبه هو الذي لا يقبل توجيهها يأتي إليه من الخارج، ويشير إلى هذا بقوله "إنّ من لا يستمع إلينا، ولا يقبل حرية إطلاق النفس من قيودها إنما هو جبان". (عميرة، 1985، 200-201)

**ونخلص للقول:** أنّ الفلسفة الوجودية اعتُبرت ثورة على فكر السلطات الخارجية والقيم الاخلاقية التي حرمت الإنسان من الحرية، ومألت حياته بالضرر بسبب الشعور بالعبودية الملقاة على عاتقه، فأصبح سجين لهذه القيم والمبادئ.... فالوجودية تريد من الإنسان أن يعيش واقعه الحاضر دون الشعور بالقلق من المستقبل أو القلق بسبب الماضي، فالإنسان الفرد هو مركز موضوع الفلسفة الوجودية، وعليه تقع مسؤولية وضع القيم الخاصة به حسب واقعه دون الخضوع الى السلطات الاستبدادية المتوارثة من الفكر الفلسفي التقليدي أو الديني. (سليم بستريس، 1989)

## 2.2- مبادئ ومرتكزات الفلسفة الوجودية:

تطلق الوجودية من الإنسان معتبرة إياه الكائن الوحيد الذي يعي وجوده. ويرتكز الفكر الوجودي على مرتكزات أساسية تحدد مقولات هذا الفكر ومبادئه الأساسية، ولعل من أهمها:

### 1.2.2- أسبقية الوجود على الماهية:

إذ أن الإنسان في نظر سارتر "مشروع وجود يحيا ذاتيا"، ولا يوجد في سماء المعقولات مثل هذا المشروع، والإنسان لا يكون إلا بحسب ما ينويه وما يشرع بفعله، وهذا الفعل الحر الذي يختاره بذاته يخلق ماهيته لنفسه". (رشوان، 1984، 103). فالإنسان حرّ وهو مسؤول عن حرّيته، كما أنه يشعر في قرارة نفسه بالرضى أو الندم أو الذنب إزاء ما يقترفه من أفعال.

"إن الوجودية هي فلسفة تعطي الأسبقية للوجود عن الماهية، وللإنسان وحده الأسبقية على الكائنات جميعا" (ماكوري، 1978، 21)، وذلك من خلال الانخراط في الحياة الواقعية بكل تفاصيلها وتعقيداتها، واللجوء إلى التعبير الأدبي عن أفكارهم زيادة على الروايات والمسرحيات، كل هذا لأنهم واقعيون يعبرون عن ماهية الأفراد وعن حياتهم الداخلية كما يعيشونها بالفعل. وابتعدوا قدر الإمكان عن التجريد، والتحرر عن التكوين الثقافي التقليدي وحاولوا وصف الواقع ونقله حيا دون أي تأويل.

ويعتبر الوجود الإنساني الأساس المشترك، والمشكلة الكبرى لكل الوجوديين، انطلاقا من أن الإنسان يتناول وجوده بوجدانه أولا، ثم بعقله ويديه وأعماله، فيشكّل نفسه بنفسه ويستخلص جوهره، فهو في حالة انتقال دائم من حالة إلى حالة جديدة، من حالة الإمكان إلى الفعل، وهذا هو جوهر التحول الإنساني الفاعل.

### 2.2.2- الاختيار:

إن الانتقال الذي يوضح الوجود هو الانتقال المبني على أساس حرية الاختيار، ولذلك فالكائن الموجود هو من يختار مصيره طواعية دون إكراه، وتتمثل فيه صفة الوجود الحقيقية، فالإنسان الحر هو المسؤول عن عمله فنحن نقرر ماذا نكون، لأن الإنسان عبارة عن مشروع يختاره بنفسه، ويشكله بنفسه وبحرّيته. وقد رأى "كيرك جاردان" الوجود هو الحرية، فالوجود هو الاختيار وأن توجد هو أن تختار. (شفشق، 1982، 91-93)؛ ومن هنا لا بد من التطرق إلى الحرية الوجودية.

### 3.2.2- الحرية عند الوجوديين:

كان "سارتر" يردد دائماً إن الحرية هي قدر الإنسان، فالإنسان محكوم عليه بالحرية لأن الحقيقة الإنسانية لا يمكن تعريفها إلا في حدود الإمكان والحرية، والواقع أن الحرية الإنسانية شيء «مريع» حقاً لأنها حرية مطلقة وغير مشروطة، وليس في إمكان الإنسان أن يختار بين أن يكون حراً أو غير حر، لأن الحرية هي التي تشكل ماهيته وجوهره. إنه ليس كائنًا تتحكم فيه قوى النفس اللاشعورية كما يظهر في نظرية "فرويد". وهو أيضاً ليس كائنًا تتحكم فيه القوى الاقتصادية الاجتماعية كما يظهر في نظرية "ماركس" عن التاريخ، وإنما على العكس من ذلك؛ فإن الإنسان في فلسفة "سارتر" هو ما يفعله، أي أنه حرية خالصة وليس هناك حرية غير تلك التي يملكها الإنسان الفرد، فهو حر شاء أم لم يشأ. فعلى الإنسان أن يختار؛ وحتى إن رفض الاختيار، فهو قد اختار ألا يختار. (علي، 2019)

لقد جعل الوجوديون لقضية الحرية النصيب الأكبر من تفكيرهم، وتكون مرتبطة بحرية الآخرين، وإذا حاول الإنسان الاعتداء على حرية أي إنسان آخر؛ فإنه يساهم بذلك في هدم حرته؛ وبهذا وحد بين وجود الإنسان وحرته. (الباقي، 1955، 52-53) والحرية عند الوجودية حرية تامة غير مقيدة، إلا أنها مرتبطة بالضرورة ولا معنى لها إلا في ضوء ارتباطها بها، وهي أساس القيم. وجميع أفكارهم الأساسية تقوم على فكرة الحرية، فالقول بالقلق والمخاطرة والمسؤولية والعدم تقوم جميعها على الحرية وتتجم عنها.

#### 4.2.2- القلق عند الوجوديين:

في مرحلة المقاومة الفرنسية إبان الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية كثر الموت، وأصبح الفرد يعيش وحيداً ويشعر بالعبثية أي عدم وجود معنى للحياة، فأصبح عند الفرد حالة تسمى القلق الوجودي، ويمشهد الحرب نشأ شعور باليأس والقلق، فأصبح هناك حاجة فكرية لمناشدة الإنسان بأن يلتفت إلى إبراز قيمة الوجود وأهميته.. ويبدأ فهم معنى الوجود بمعايشة الواقع وجدانياً أكثر منه عقلياً، ثم يبرز اكتشاف المعاني الأساسية في الوجود الإنساني كالعدم أو الفناء أو الموت اليأس، القلق الوجودي، وهنا تتكشف القيم الإنسانية الخالصة دون موجّهات خارجية لاهوتية أو ميتافيزيقية. (الصلاحي، 2016)

#### 5.2.2- العبث الوجودي:

تعني فكرة العبثية عدم وجود معنى في العالم خلاف المعنى الذي نسبغه عليه، ويتضمن انعدام المعنى فكرة انعدام الأخلاقية أو "انعدام العدالة" في العالم. (Wartenberg, Thomas, 2008) ويمكن إلقاء الضوء على هذا المفهوم العقلي بطريقة تجعله مضاداً لمفهوم الأديان الإبراهيمية، التي تؤكد على أن الغاية من الحياة هو تنفيذ أوامر الرب، هذه الغاية هي ما يعطي قيمة لحياة الناس.

أن تعيش حياة العبثية يعني أن ترفض الحياة التي تبحث عن معنى محدد لوجود البشر؛ لأنه لا يوجد شيء لتبحث عنه. طبقاً "لألبيير كامو"، فإن العالم أو البشر ليسوا عبثيين في ذاتهم، وإنما ينشأ مفهوم العبثية فقط عن اجتماع اثنين، إذ تصبح الحياة عبثية بسبب عدم التوافق بين البشر وبين العالم الذي يسكنون فيه. يمثل هذا الرأي أحد التفسيرين للعبثية في الأدب الوجودي. (Michelman, Stephen, 2010, p.

تعتبر العبثية الفكرة المشتركة بين كل الوجوديين، إلا أن الفيلسوف والأديب ألبيير كامو (1913-1960) خير من مثل النزعة العبثية، فالعبث كما يراه عبارة عن عقدة مستعصية يعانيتها الإنسان في أعماق نفسه. وترى الوجودية أن مشكلة العبث ناتجة عن إدراك الإنسان لعدم وجود معنى وقيمة الحياة فيشعر بالغرابة نتيجة هذا الإحساس. (غازي، 1964، 49) ويؤكد سارتر أن العبث لا يأتي من الصراع الأبدي بين الوجود والعدم، إذ يقول: " إن كل إنسان يولد من غير سبب ويعيش بدافع الضعف ويموت بالمصادفة. (غلاب، 1965، 19)

### 3.2- النموذج التصوري أو تصورات الفلسفة الوجودية:

يمكن عرض أهم تصوراتها من خلال بيان نظرتها إلى كل من الوجود (الكون والحياة)، والإنسان والمعرفة، والقيم وهي المباحث الرئيسية التي تتناولها الفلسفة، وذلك على النحو الآتي:

#### 1.3.2- الكون والوجود:

فيما يتعلق بطبيعة العالم والحقيقة، فإنها تؤمن بأن عالمنا متغير ومليء بالمتناقضات، وفي مفهومها للعالم تتمرد على التيار الفكري الممتد من ديكارت إلى هيجل.

#### 2.3.2- الإنسان والمجتمع:

لقد أولت هذه الفلسفة الإنسان جلّ اهتمامها، وعظمت من شأنه على حساب المجتمع والكون، وتتمثل أهم أفكارها حول الإنسان والمجتمع كالاتي:

♦ فالإنسان يتكون من جسم وعقل ووعي، ويتفاعل مع كل معطيات الحياة في سبيل تحقيق ماهيته وشخصيته الإنسانية. إنّ السؤال الأول في نظرها هو ما معنى الأنا؟ وأن الإنسان حر في تحديده لهذا المعنى، وهو قادر على اختيار ما سيكون عليه لأنه إنسان حرّ.

♦ تشكل الفردية أساس الفلسفة الوجودية، أي الانطلاق من الفرد المنطوي على ذاته الذي يملك القوة وهو المسؤول عن استعمالها، والقوة يجب أن تستعمل في إنجاز أصالة الفرد وتلبية أموره، إلا أنها لا تتكرر أنّ الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش إلاّ بين الناس.

ولكنها مع ذلك تنظر إلى المجتمع على أنه قوة تضغط على الفرد وتسلبه وجوده وحرية، وتجعله أسيراً لعادات ومعتقدات معينة. فحياة الإنسان في المجتمع إذا هي غير أصيلة ولكنها مجرد وجود سطحي، ويمكن فهم الإنسان من خلال وجوده، وما يصنعه في نفسه، وما يختار أن يكون عليه من خلال تفاعله مع الحياة، وأن كل من يريد فهم طبيعة الإنسان عليه أن يبدأ بفهم وجوده ومعناه. (الرشدان؛ جعيني، 1997، 78)

♦ الإنسان صيغة فردية تتمثل في وجود شخصية لها ذات وهوية، تسعى من أجل التكامل والنماء عن طريق المعاشة المباشرة للأشياء في الوجود.

♦ الإنسان يتفاعل مع الأشياء بتجربته الشخصية الحرة؛ بهدف إنماء شخصيته، وتحقيق ذاته الأصيلة الخالية من كل ألوان الزيف. (الخالدة، 2013، 91-92)

♦ طبيعة الإنسان تتشكل من المواقف والخبرات ومن العلاقات الحرّة بينه وبين الآخرين. (الحاج، 2014، 143)

### 3.3.2- القيم:

أما عن طبيعة القيم، فإنها ترى أن الإنسان هو المسؤول الأول عن اختيار قيمه؛ فجاءت كثرة على قيم الإنسان الحديث، وتؤمن بتنوع القيم لأنها مسألة شخصية، فالشخص حر في اختيار المعيار لمنظومته القيمية والأخلاقية، فالمعايير عندها مرتبطة بالإنسان واختياره، فالإنسان هو الشخص القادر على اختيار ما يريد دون أن يعيقه معوق ما، ومن خلال هذا الاختيار الحر يحقق الشخص وجوده بأقصى ما يستطيع. إن الأخلاق الوجودية تقوم على الاعتراف بأولوية الضمير الفردي، فالفرد هو الذي يحكم على أفعاله وهو المسؤول عن نتائجها. وتدعو إلى تأسيس السلوك على الحرية الشخصية، التي هي ليست حقيقة جاهزة أو معطى من معطيات الحس، بل هي كسب يحصل كل يوم. فالحرية هي " الذات المجاهدة " التي تجد نفسها فريسة لنفسها وللعالم. ومعنى هذا أنه إذا أراد الإنسان أن يكون حرًا؛ فعليه السعي جاهدا دائما في سبيل الانتقال من " مملكة الطبيعة " إلى "مملكة الأخلاق"، وهذه الصيرورة الخالصة هي التي تخلع على الوجود الإنساني معنى. (جعيني، 2004، 237-238)

يعتقد الوجوديون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدما، وأن وجود الإنسان سابق لماهيته. وبالتالي لا يوجد إله ولا توجد مثل ولا قيم أخلاقية متوارثة لها صفة اليقين، ولكي يحقق الإنسان وجوده بشكل حر؛ فإن عليه أن يتخلص من كل الموروثات العقدية والأخلاقية، فهم لا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيما أو أخلاقا معينة على الآخرين.

إن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود لذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية مطلقة -وهي القيمة المركزية للفلسفة الوجودية-، فله أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيد شيء. فالوجودي الحق عندهم هو الذي لا يقبل توجيهها من الخارج - من سلطة أو دين - إنما يُسير نفسه بنفسه، ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود، ولذلك أدى فكرهم إلى شيوع الإلحاد والفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والتحلل والفساد. (وي غزة، 2010، 10)

### 4.3.2- المعرفة:

وتتمثل أهم أفكارها حول المعرفة فيما يلي:

1- إن الوجودية فلسفة للذات أكثر منها فلسفة للموضوع، فالذات هي التي توجد أولا، وهذه الذات ليست هي الذات المفكرة، بل هي الذات (الوجدانية) الفاعلة.. الذات التي تكون في بؤرة الشعور. الذات التي تدرك مباشرة وعينا في فعل الوجود العيني المشخص.

2- إن الفلسفة الوجودية أعطت للجانب النفسي حقه، واعتبرته سببا يترجم الوجود. "فالحياة العاطفية للإنسان هي عبارة عن جسر يقودنا إلى الاندماج بكياننا في العالم، ونستطيع أن نفهم الأشياء كما لا

نستطيع فهمها عن طريق الملاحظة الموضوعية". (ماكوري، 1978، 20) وإن الحالات الوجدانية التي يزودنا بها الوجوديون كالقلق والملل والغثيان.... ليست سوى مغزى فلسفي.

3- الوجدانية ترفض التفكير المجرد ومطلقية العقل، وفي النقيض تبين أن الفلسفة تتعلق بحياة الفرد الشخصية، وبتجربته والموقف التاريخي الذي يحدد فيه الفرد نفسه بنفسه. يقول الفيلسوف الوجودي "بأن ما أعرفه ليس هو العالم الخارجي من حيث هو كذلك بل هو تجربتي الخاصة، فالأمر الشخصي بالنسبة لوجودي هو أمر واقعي. (رشوان، 1984، 102)

4- وإذا أردنا أن نفهم الوجدانية فيمكن القول إنها "أسلوب في التفلسف"، أو حركة احتجاج ومعارضة على الإغراق في التصورات العقلية، أي أنها أسلوب أو طريقة في التفلسف؛ قد يؤدي بمن يستخدمها إلى مجموعة من الآراء التي تختلف فيما بينها أشد ما يكون الاختلاف حول العالم وحياة الإنسان فيه، فهي تحوّل النظر إلى الإنسان نفسه وإلى مشكلاته ومصيره. (ماكوري، 1978، 17)

5- المعرفة في الوجدانية ذاتية إنسانية، تنشأ وتتكون مما يوجد في وعي الفرد؛ نتيجة لخبراته وتجاربه الذاتية، ومن مواقف القلق والمعاناة لإدراكه لمدى ضعفه في هذا العالم، وتلاشي ماهيته. وصحة المعرفة ليس العقل وإنما التجربة والخبرة. والفرد هو الذي يختار أن يعرف، ويقرر أن يفعل شيئاً بمعرفته؛ لذلك ليس هناك حقائق مطلقة مستقلة عن الإنسان، ولكنها العكس فهي من صنع الإنسان، وذاتية بإضافته معنى على المعلومات والمعارف؛ نتيجة الاختيار الحر للفرد العارف. والحقيقة لا توجد إلا إذا تحققت بنتائج من وراء الفعل الذي اختاره الفرد، ومن خلال العمل يوجد المعنى. (أحمد، 2014، 143)

### 3- التطبيقات التربوية للفلسفة الوجدانية:

إن الفلسفة والتربية وجهان مختلفان لشيء واحد، فالفلسفة تبحث في أساسيات وماهية الحياة، والتربية تنفذ ذلك في شؤون الحياة العملية. (ناصر، 2001، 96) والتطبيقات التربوية تعني بها نظرة الفلسفة الوجدانية إلى العناصر الرئيسة للمنهج المدرسي بمفهومه الواسع، وهي: التربية وأهداف التربية، الطالب، المعلم، المقرر الدراسي، طرق التدريس....

#### 1.3- التربية الوجدانية:

لم تتعدّ التربية عندهم الجهد النظري الخالص، أي أنها لم تطبق في أي مكان في العالم، كما أنها لم تقترح برامج تربوية محددة كما فعلت الفلسفات التربوية الأخرى، لكن هناك ملامح بارزة للأفكار التربوية التي آمنت بها، من خلال آراء فلاسفتها الذين نادوا بنظام تربوي يطور الشخصية من جميع جوانبها، ويعطي للمتعلّم الحرية الكاملة في اكتشاف واختيار حقول المعرفة المتعددة.

#### 1.1.3- تعريف التربية الوجدانية:

"التربية الوجدانية ليست الإعداد للحياة حسب النظرة المثالية أو هي الحياة حسب النظرة البراجماتية، بل هي تحقيق الذات للفرد ليكون ما يريد لا ما يريده المجتمع." (جعيني، 2004، 240) و"التربية بكل مناهجها التعليمية وأنشطتها الفصلية؛ يجب أن تحقق ذاتية الفرد لا أهداف المجتمع." (جيلا لي، 2016، 9). وتعدّ أفكار إبراهيم ماسلو Abraham Maslow، (1908-1970) عالم نفس أمريكي

اشتهر بنظريته تدرج الحاجات أفكارا محورية في تعريف التربية لأجل الأصالة الوجودية، بوصفه أحد كبار الباحثين الذين كانت لهم مساهماتهم في النصف الثاني من القرن العشرين في تعريف التربية، بأنها إثراء خبرات وعلاقات وأنشطة الطالب الوجودية.

ويقول ماسلو نقلا عن "مميز" إذا أردنا أن نكون مساعدين، مستشارين، معلمين، مرشدين، أو معالجين نفسيين؛ يجب علينا أن نتقبل الشخص، وأن نقوم بمساعدته على تحديد ماهية شخصيته الحقيقية، وما هو أسلوبه، وما هي استعداداته، وما يجيده هذا الشخص وما لا يجيده، وما يمكننا البناء عليه، وما هي مواد الخام، وما هي إمكاناته، وفوق كل هذا وذاك يجب علينا أن نعتني بالطفل، وأن نستمتع به وبنموه وبتحقيقه لذاته". (القحطاني، د ت، 129)

### 2.1.3- أهداف التربية الوجودية:

كان الهدف الرئيسي للتربية عند الوجودية هو تحقيق بناء الشخصية الحرة في سلوكها، الواعية المدركة لظروفها، المسؤولة، الملتزمة التزاما إيجابيا نحو وجود له معنى، وذلك من خلال مواقف الحياة التي يمر بها الإنسان، والمؤثرات الخارجية المختلفة التي يعيشها ويعانيها. ومن أهداف التربية الوجودية تعويد الفرد النظام-التنظيم-، والقدرة على النقد، والإنتاج، وذلك بتوفير الجو الحر له؛ ليقوم بأعماله الحيوية. (الهياجنة؛ أبو جليان، 2015، 122-123)

ولقد اقترح فان "Van" عدّة أساسيات-أهداف- للتربية في ضوء الفلسفة الوجودية، تتمثل فيما يلي:

(الحباري، 1993، 235)

- 1- إعطاء الحرية التامة للفرد في اختيار المادة التعليمية وأسلوب تدريسها.
- 2- يجب أن تركز العملية التربوية على حاجات الفرد وأهدافه.
- 3- يجب أن يتدرب الفرد من خلال العملية التربوية على تحمل مسؤولياته تجاه نفسه، وتنمية قدرته على اتخاذ القرارات الضرورية المناسبة في الظروف المختلفة.
- 4- يشمل دور المعلم في العملية التعليمية-التعلمية إثارة حوافز التلاميذ نحو التعلم والإبداع.
- 5- الدور الأول والأخير للمدرسة يتمثل في تهيئة الأجواء العملية والتربوية المناسبة للفرد.
- 6- يجب أن تتعكس معلومات وخبرات ومهارات البرامج التربوية في سلوكيات الفرد واتجاهاته.

وهذا كله من أجل تدريب المتعلم على النظام والنقد والقدرة على الإنتاج، فكل شيء خاضع للمناقشة والتحليل، وبهذا يصل المتعلم إلى بلوغ الحقيقة من خلال توفير الجو الحر له، والذي فيه يختار أفعاله ويتحمل نتائجها، وألا يعتبرها نهائية وغير قابلة للتغيير، فالمستقبل ملكه ويستطيع صنعه حسب اختياره، وله القدرة على اكتشاف العالم بنفسه، وأن يصبح صادقا مع نفسه.

إن التأكيد على الحرية الحقيقية هو الرسالة التي يقدمها الوجوديون لفلسفة التربية. لقد شكّلت الوجودية اتجاها ضد شكلية التعليم ونمطية المدارس، فقد رأت أن تطابق المدارس والتعلم الجماعي اليوم هو آفة التعليم.

### 2.3- المنهج والمقرر الدراسي:

إن الوجوديين لا يحبذون منهجا متمركزا حول المادة، فالمادة الدراسية بالنسبة لهم ليس لها قيمة في حد ذاتها، وأيا كان ما يدرسه الفرد؛ فإنه يعتبر وسيلة يستطيع الفرد من خلالها أن ينمي معرفته بذاته ومسئوليته الذاتية. والمنهج الذي يحظى باحترام الوجوديين هو المنهج الذي يقوم على الدراسات الإنسانية، ذلك أن الوجوديين يولون أهمية كبرى للدراسة الإنسانية. فالتاريخ والأدب والفلسفة والفن تكشف أكثر من غيرها من العلوم عن طبيعة الإنسان وصراعه مع العالم الذي يعيش فيه، ودراستها يستطيع الطالب أن يقف على تأملات أعمق العقول البشرية في الموت والذنب والعذاب والحب والكراهية والحرية والغناء والفرح والزهد.

إن المبالغة في التخصص تعدّ خطأ عند الوجوديين؛ لأنها تعوق نمو حياة التلميذ الداخلية برمتها، وهم يفتنون ما حدث من تخصص دقيق في العلوم، لا سيما الطبيعية منها. وفي عبارة "لنيتشه" ما أشبه المتخصص في العلم بعامل في مصنع، يقضي كل حياته في ربط مسمار أو طرق صمام أو استخدام أداة أو آلة واحدة؛ ولذا يؤكدون على أهمية الدراسات الإنسانية بالنسبة لطلاب الدراسات العلمية والطبيعية، بل إن الوجوديين يعارضون أي نوع من الإعداد المهني للتلميذ؛ لأن ذلك يوجهه وجهة معينة لا تشجعه على تحرير ذاته ومعرفة نفسه. (مرسي، 1983، 216)

إن المنهج المثالي في نظر الوجودية هو الذي يؤكد على:

1- النشاط واهتمامات التلميذ، والحاجات القريبة أو العاجلة.

2- الحرية الكاملة للتلميذ للعمل فرديا أو في جماعات، والاعتراف بالفروق الفردية في الخبرات.

ويؤمن الوجوديون بأن المعرفة إذا أدركت إدراكا صحيحا فإنها تقضي إلى الحرية؛ لأنها تُخلص الإنسان من الجهل والتحيز، وتمكّنه من رؤية نفسه على حقيقتها. ولذا يجب على المدرسة أن تراجع مفاهيمها عن المعرفة باستمرار، ويجب ألا تنظر إليها كغاية في ذاتها، أو كوسيلة لإعداد الطالب لمستقبله ووظيفته، وإنما يجب أن تنظر إليها على أنها وسيلة لتثقيف الذات وتحرير النفس. وأن تكون المادة الدراسية التي تشكل المنهاج ذات معنى للفرد ليحقق ذاتيته، وأن يعالج بها الإشكالات الإنسانية. ويركّز المنهاج على الدراما والتعبير الحر والفلسفة التي تعالج حرية الإنسان. والمنهاج الوجودي مفتوح المصادر والطرق والمادة، المهم أن يسهم في تحقيق الوجود الذاتي للفرد. (الخالدة، 2013، 96)

### 3.3- طرق التدريس:

تهتم الوجودية بالطرق السقراطية في التدريس باعتبارها أنسب الطرق؛ لما تحتويه من استقراء وفهم الإنسان لنفسه باعتمادها على الحوار والتفاعل. وترفض طريقة حل المشكلات التي نادى بها الفلسفة البرجماتية؛ لأن اختيار المشكلة مسألة تهم المتعلم لا بصفته فردا بل بصفته كائنا اجتماعيا. وتعزل فردية المتعلم وإحساسه الوجداني ومشاعره لتصبح خاضعة لعقل الجماعة وأحكامها. أما في الطريقة السقراطية فإنها تنمي عند المتعلم القدرة على النقد وحرية التعبير والابتكار، وتعطي الوجودية أهمية إلى اللعب، فسارتر مثلا يفضل قيمة اللعب على الجدّية، لأن اللعب يفتح المجال للابتكار، ولا ترى الوجودية أهمية

اللعب الجماعي لأنه يخلق المنافسة، وتصبح قيمته محددة في الكسب أو الخسارة. (شفشق، 1982، 110-112)

كما يجب أن تكون طريقة التدريس في ظل الفلسفة الوجودية على أساس ديمقراطي، وأن تعتمد إلى الأساليب التوجيهية، وهذا يعني عدم فرض اهتمامات الكبار وقيمهم على التلاميذ الصغار. ويجب أن تتيح طريقة التدريس لكل تلميذ أن يكون حرًا في تنمية أغراضه الخاصة، وأن يعمل على تعليم نفسه كما يجب أن يحقق ذاته. (مرسي، 1983، 216)

وترفض الوجودية طرق التدريس القائمة على الحفظ والتلقين وإنتاج الأفراد المشابهين وكأنهم في مصنع، مؤكدة على الطرق التي تطوّر شخصية الفرد ككل، وتعطيه مطلق الحرية في اكتشاف حقول المعرفة المختلفة من خلال التركيز على الخبرات الذاتية، والاعتماد على الاستقراء وعلى فهم الإنسان لنفسه. ولاختلاف الأشخاص ينبغي أن تتنوع طرق التدريس بما يتناسب مع كل منهم؛ لذلك ترى الوجودية ضرورة اتصاف طرق التدريس بالحرية مع تركيز كل طريقة على الخبرة الذاتية والمناقشات. (جعيني، 2004، 241-242)

#### 4.3- المعلم:

يرفض الوجوديون المفاهيم التقليدية الخاصة بالعلاقة بين المعلم والتلميذ. فالمعلم موجود في الفصل لا كشخصية مثالية ينبغي تقليدها كما في المثالية، أو لنقل المعلومات كما في الواقعية، أو كمستشار في مواقف حل المشكلات كما في البراجماتية، وإنما وظيفته الأساسية في مساعدة كل طالب بصورة فردية في رحلته نحو تحقيق الذات. وإن تأثير المعلم الجيد على الطالب يمتد إلى حياته الراشدة، وكم من أناس متقدمين في السن يتذكرون باحترام معلمهم القدامى الذين ألهمهم يوما ما. (مرسي، 1983، 217)

فوظيفة المعلم إثارة ميل المتعلم وذكائه ومشاعره، وتهيئته لاكتشاف العالم، ومعرفة كيفية التعامل، وأن يحافظ على الحرية الأكاديمية، ويساعد المتعلم على الاستمرار في التعلم لاكتساب خبرات جديدة من خلال مراعاة الفروق الفردية في الشخصية وفي الاهتمامات. (جعيني، 2004، 242)

وعلى المعلم تجنب إذلال المتعلم، أو جعله موضع السخرية من زملائه، وإذا عوقب فينبغي أن لا يكون العقاب مَرَكِزًا حول سلب احترام الطفل لإنسانيته، ويجب على المعلم ألاّ ينشد إذلال تلميذه أو يجعله موضع سخرية باقي الفصل حتى لو ارتكب ذنبا كبيرا، وإنما عليه أن يوضح له خطأه، وإذا اضطر إلى معاقبته فليكن ذلك بطريقة تحفظ عليه كرامته واحترامه، كما أن على المدرس ألاّ يوبخ التلاميذ الأكثر تخلفا، بل عليه أيضا أن يحفظ عليهم كرامتهم لأن أهمية التربية بالنسبة لهم كما هي بالنسبة لباقي التلاميذ ليست في مقدار ما يتعلمونه، وإنما في كيفية الاستفادة مما تعلموه حتى ولو كان قليلا. وإذا ما استطاع التلميذ استخدام المعلومات القليلة التي اكتسبها في زيادة حريته الشخصية ومعرفتهم لأنفسهم؛ فإنهم يكونون قد فعلوا الشيء المرغوب والسليم. (مرسي، 1983، 217)

ولا تهتم الوجودية بالامتحانات في ذاتها بقدر الاهتمام بتشجيع المتعلمين على استعمال ما تعلموه من أجل تحقيق ذاتهم وحريتهم، لذا على المعلم أن يدرك أن أهمية المعرفة ليست أكثر من أهمية الإنسان،

فالمعرفة ليست غاية في ذاتها بل هي وسيلة لتحقيق فردية المتعلم. فمن هذا المنطلق نرى أن على المعلم عند عرض مادة الدرس أن يقدم وجهات نظر متعددة، ويتجنب فرض وجهة نظر خاصة، فعليه مناقشة الموضوع، ثم عرض أفضل وجهة نظر حسب رأيه، ثم يسأل المتعلم عن مدى قبوله، تاركاً له الحرية في القبول أو الرفض؛ مما يشعره بالثقة في معلمه، وينشأ الاحترام المتبادل بين المعلم والمتعلم. (جعيني، 2004، 242)

### 5.3- المتعلم:

وفيما يخص المتعلم، تنادي الوجودية بضرورة توفير الحرية الحقيقية للطالب، وعدم وضع الطلاب بأعداد كبيرة في الفصول الدراسية؛ لأن ذلك يسبب إضعافهم، ويقضي على مواهبهم الفردية. كما ترى الوجودية أنه يجب على المتعلم أن يتحمل مسؤولية البحث عن تحقيق ذاته، ويتخذ المبادرات الشخصية فيما يتعلق بإنمائها، وتفاعله الاجتماعي بهدف الارتقاء العاطفي والعقلي والجسمي، والتعرف على الآخرين عن طريق الحوار الحر الذي يساعده على بناء وجوده الذاتي، والبحث عن الخبرات والأسئلة المتعلقة بأحوال الوجود الإنساني، والمشاركة الإيجابية في المواقف التي تتصل بموضوعية المعرفة، والتغلب على المشكلات التي تواجهها لأنها لا تساعده على تحقيق الذات، وأن يتعلم ما يفيد في تحقيق مبادئه الذاتية، وأن يقاوم الخوف والرضوخ للجماعة، وأن يتحلى بالشجاعة لتحقيق ذاته.

وفي الوجودية يجب أن يكون المتعلم حذراً من الخضوع إلى المادة التعليمية، بل عليه أن يخضع المادة التعليمية إليه؛ لكي يتمكن من الاستفادة منها في الفهم وتحقيق الذات، وأن يفكر بطريقة إبداعية، ويستجيب بطريقة ذكية تربط بين الأحداث والمعاني في البيئة التي يتعايش فيها. (الخالدة، 2013، 96)؛ وهو بذلك محور العملية التعليمية وجميع الخبرات التعليمية.

المتعلم وجوده عقلائي، وله حرية الاختيار القائمة على المسؤولية المرتبطة بتحقيق أهدافه، له دور أساسي في اختيار ما يتعلمه، وما سوف يمر به من خبرات، واختيار مكان التعلم وزمانه وأساليبه، ويتم التقويم بإتباع أساليب التقويم الذاتي وأساليب تحقيق الذات. (جعيني، 2004، 242)

### 4- نقد وتقييم الفلسفة التربوية الوجودية:

فمن الأهمية بمكان التأكيد على أن الوجودية رغم تكريمها للإنسان واحترامها لذاتيتها؛ إلا أنها عملت على تحرير الإنسان تحريراً مطلقاً من الاحترام والتقدير لأية قيمة أو دعوة مهما كان مصدرها. وفيما يتعلق بالتربية فعلى الرغم من نجاح بعض التطبيقات التربوية في بعض المدارس على مستوى فردي؛ إلا أننا لا نستطيع التأكيد على نجاح تطبيقاتها التربوية على جميع المدارس وجميع الثقافات.

إن تأثير صدى الوجودية على التربية قد أثار جزئياً في بعض البلدان، مثل الأخذ بفكرة المدرسة بدون فصول دراسية في المرحلة الابتدائية، أو في توزيع التلاميذ على مستويات في المادة الدراسية الواحدة، والاهتمام بالتدريس الفردي وتشجيع التعلم الذاتي، ولكن كان أثر الاتجاهات الوجودية في التعليم الجامعي أكبر من تأثيرها في التعليم العام، وخاصة في التعلم عن بعد -التعليم المفتوح-، والتوسع في نظام الاختيار في المواد الدراسية والدراسات المستقلة، وفتح باب القبول في التعليم الجامعي دون شروط

المستوى المحدد بنظام، والإيمان بحرية المتعلم ومسؤوليته فيما يتعلمه، وأصبح من حق الطلبة في بعض الجامعات المشاركة في تحديد محتوى المواد التي يدرسونها، والمساهمة في تقييم مدرسيهم. (فرحان، 1989، 100)

وقد وجهت انتقادات للكثير من هذه الممارسات فيما تعلق بمراحل التعليم الأولى، إذ اعترض النقاد على أن الطفل في هذه المرحلة لم يكتمل نضجه للمشاركة بوعي كامل في اتخاذ القرارات وصنع نفسه، بالرغم من وجهات النظر المطالبة بحرية المتعلم في هذه المرحلة للتعبير عن آرائه. كما أنّ الوجودية تلقي مسؤوليات كبيرة على إدارة وتنظيم العملية التعليمية - التعليمية، حيث ترى أن الفرد بمفرده يشكّل نظاماً تعليمياً؛ مما يجعل المدرسة عبارة عن مجموعة أنظمة متضاربة الذي يؤدي إلى الفوضى، وتصبح إدارة المدرسة عاجزة عن تحقيق الأهداف المرجوة، ناهيك عما يتطلبه هذا الواقع من توفير إمكانيات كبيرة؛ لتسمح لكل فرد أن يحقق ذاته. كما وجهت الانتقادات إليها على نزعتها الفردية أكثر من التأكيد على العمل الجماعي.

كما انتقدت في مجال القيم والأخلاق وإنكارها للتراث القديم. فعند تناول الوجودية في ميزان الإسلام فإن الناظر إلى هذا الفكر يراه مرفوضاً من منظور العقيدة الإسلامية، وذلك لما يأتي:

- 1- أنّ الإسلام يقوم على الإيمان بوجود الله وبالحياة الآخرة، فالوجود الزمني في الدنيا بعده وجود آخر دائم بعد الموت، فالعدم ليس نهاية الوجود كله، بل إنّ الحياة الآخرة خير لمن اتقى.
- 2- ليست وسائل المعرفة الصحيحة قاصرة على إحساس الفرد نفسه بما يعاينه من تجربة، فهناك العقل وميدان التفكير واسع غير محدود، وهناك الوحي المنزل من عند الله على رسله.
- 3- ليست الحرية الشخصية في الإسلام حرية مطلقة بغير حدود، فهناك ضوابط موضوعية لاستقامة السلوك وللحفاظ على حقوق الآخرين، ومعلوم أن الأهواء الشخصية مختلفة، وفي بعضها تضارب كبير، والإنسان ليس كالحوانات التي تسيرها غرائزها في أكثر أحوالها.
- 4- إن الوجودية فلسفة تشاؤمية؛ ولهذا فهي تعارض تقدم البشرية ومستقبل الإنسان لديها مظلم. أما الإسلام لا يرضى عن التشاؤم المطلق أو اليأس المقنط، بل فتح باب الأمل ودعا إلى النشاط والعمل، ووعده بالعفو عن المسيء إذا تاب وأناب إلى ربه، وباليسر والفرج لمن توكل عليه، وآمن برحمته وحكمته. (وي غزة، 2010)

5- إذا كانت الوجودية قد شغلت نفسها بقضية الموت وقضية التناقض الداخلي؛ فإنها لم ولن تحل القضيتين، ولن تصل إلى علاج ناجح للمشكلتين، وقد أثر هذا في التربية الوجودية تأثيراً بالغاً، إذ إنها ما زالت تتأرجح بين القبول والرفض من الفلاسفة والمفكرين الوجوديين. والإنسان في الوجودية لا تعريف له فهو يعيش الضياع والقلق والألم.

6- إن الوجودية اتجهت وجهة فردية بحتة، وأهملت الجانب الاجتماعي، فحصرت اهتمامها فقط بالإنسان وفي وجوده المفرد.

## 5- خاتمة:

إن فلسفة التربية تسعى إلى فهم التربية في كليتها الإجمالية، وتفسيرها بواسطة مفهومات عامة تتولى قيادة اختيارنا للغايات والسياسات التربوية، إنها عبارة عن الإطار العام من الآراء والمعتقدات الفلسفية التي تدور حول الإنسان وحول العالم الذي يعيش فيه، والتي توجه عملية تربية هذا الإنسان وتوحد أهدافها ومناشطها.

وتعدّ فلسفة التربية الوجودية إحدى هذه الفلسفات. ويمكن عرض أهم منطلقاتها الفكرية في جانبها المعرفي، فهي فلسفة للذات أكثر منها فلسفة للموضوع، فالذات هي التي توجد أولاً وهذه الذات ليست هي الذات المفكرة، بل هي الذات (الوجدانية) الفاعلة.. الذات التي تكون في بؤرة الشعور. الذات التي تدرك مباشرة وعينا في فعل الوجود العيني المشخص. كما أعطت الفلسفة الوجودية للجانب النفسي حقه، واعتبرته سببا يترجم الوجود، "فالحياة العاطفية للإنسان هي جسر يقودنا إلى الاندماج بكياننا في العالم، ونستطيع أن نفهم الأشياء كما لا نستطيع فهمها عن طريق الملاحظة الموضوعية".

كما ترفض الوجودية التفكير المجرد ومطلقة العقل، وفي النقيض تبين أن الفلسفة تتعلق بحياة الفرد الشخصية وبتجربته، والموقف التاريخي الذي يحدد فيه الفرد نفسه بنفسه. يقول الفيلسوف الوجودي "بأن ما أعرفه ليس هو العالم الخارجي من حيث هو كذلك بل هو تجربتي الخاصة، فالأمر الشخصي بالنسبة لوجودي هو أمر واقعي.

ويمكن عرض أهم التطبيقات التربوية للفلسفة الوجودية من خلال بيان نظرتها للتربية على أن "التربية الوجودية ليست الإعداد للحياة حسب النظرة المثالية، أو هي الحياة حسب النظرة البراجماتية، بل هي تحقيق الذات للفرد ليكون ما يريد لا ما يريده المجتمع." و"التربية بكل مناهجها التعليمية وأنشطتها الفصلية يجب أن تحقق ذاتية الفرد لا أهداف المجتمع.

ترفض الفلسفة الوجودية المفاهيم التقليدية الخاصة بالعلاقة بين المعلم والتلميذ. فالمعلم وظيفته إثارة ميل المتعلم وذكائه ومشاعره، وتهيئته لاكتشاف العالم ومعرفة كيفية التعامل، وأن يحافظ على الحرية الأكاديمية، ويساعد المتعلم على الاستمرار في التعلم لاكتساب خبرات جديدة من خلال مراعاة الفروق الفردية في الشخصية وفي الاهتمامات. وفي الوجودية يجب أن يكون المتعلم حذرا من الخضوع إلى المادة التعليمية، بل عليه أن يخضع المادة التعليمية إليه؛ لكي يستفيد منها في الفهم وتحقيق الذات، وأن يفكر بطريقة إبداعية، ويستجيب بطريقة ذكية تربط بين الأحداث والمعاني في البيئة التي يتعايش فيها؛ وهو بذلك محور العملية التعليمية وجميع الخبرات التعليمية.

في حين من أهم سلبياتها، الانتقادات الكثيرة التي وجهت لبعض الممارسات التربوية، ومن هذه الممارسات فيما يتعلق بالمرحلة الأولى من التعليم، إذ اعترض بعض النقاد على أن الطفل في هذه المرحلة لم يكتمل نضجه للمشاركة بوعي كامل في اتخاذ القرارات وصنع نفسه، على الرغم من وجهات النظر المطالبة بحرية المتعلم في هذه المرحلة في التعبير عن آرائه.

كما اتجهت الوجودية وجهة فردية بحتة، وأهملت الجانب الاجتماعي، فحصرت اهتمامها فقط بالإنسان وفي وجوده المفرد المادي الدنيوي بشكل يخالف الإسلام الذي يقوم على الإيمان بوجود الله وبالحياة الآخرة، فالوجود الزمني في الدنيا بعده وجود دائم بعد الموت، فالعدم والموت ليس نهاية الوجود كله. وختام القول إن لكل اتجاه فلسفي تربوي جوانب كمال وجوانب قصور.

### الإحالات والمراجع:

- أحمد، علي محمد. (2014). *في فلسفة التربية: نظريا وتطبيقيا*. دار المنهل ودار المنجد للنشر. تاريخ الاسترداد 25 03، 2019، من: <https://2u.pw/SuBQq>
- الباقي، عبد الكريم. (1955). *تمهيد في علم الاجتماع*. ط1. دمشق: مطبعة الجامعة السورية.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. (1405هـ). *التعريفات*. ط1. (تحقيق عميرة، عبد الرحمن، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- الحاج، محمد أحمد علي. (2014). *فلسفة التربية*. ط1. الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
- الحباري، حسن. (1993). *أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية*. ط1. إربد، الأردن: دار الأمل.
- الحفني، عبد المنعم. (1990). *المعجم الفلسفي*. بيروت، لبنان: الدار الشرقية.
- الحوالدة، محمد محمود. (2013). *فلسفات التربية التقليدية والحديثة والمعاصرة*. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- الرشدان، عبد الله وجعيني، نعيم. (1997). *المدخل إلى التربية والتعليم*. ط2. عمان: دار الشروق.
- الصلاح، فؤاد. (19 جوان، 2016). *القلق الوجودي لدى الشباب في دول الربيع العربي*. تاريخ الاسترداد 17 مارس، 2022، من موقع الحوار المتمدن: <https://2u.pw/UGc1t>
- العساف، صالح حمد. (2003). *المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية*. ط3. الرياض: مكتبة العبيكان.
- العمارة، محمد حسن. (2000). *الفكر التربوي الإسلامي*. ط1. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- القحطاني، نورة بنت سعد بن سلطان. (بلا تاريخ). *الأصول الفلسفية وتطبيقاتها التربوية*. العبيكان. تاريخ الاسترداد 24 03، 2019، من <https://2u.pw/JspTq>
- اللحام، محمد هادي. (2005). *قاموس لغوي عام*. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- الهياجنة، وائل سليم وأبو جليان، عمر محمد. (2015). *مقدمة في التربية*. ط1. عمان: دار المعتر للنشر والتوزيع.
- بدران، شبل؛ محفوظ، أحمد فاروق. (1994). *في أصول التربية*. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- بوحوش، عمار. (1995). *مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث*. بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية.
- تيلر، جورج ف. (1977). *مقدمة إلى فلسفة التربية*. ط1. ترجمة لوقا، نظمي. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية.
- جعيني، نعيم حبيب. (2004). *الفلسفات وتطبيقاتها التربوية*. ط1. الأردن: دار وائل للنشر. تم الاسترداد من <http://kenanaonline.com/users/elfaramawy/downloads/19353>
- جيلالي، بوبكر. (2016). *الأسس الفلسفية والاجتماعية لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات*. جامعة الشلف. تاريخ الاسترداد 25 03، 2019، من: <https://2u.pw/ZHsMU>
- حباطر، مسعد عبد العزيز. (1970). *مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية*. ط1. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- رشوان، محمد مهران. (1984). *مدخل إلى دراسات الفلسفة المعاصرة*. ط2. القاهرة، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- سارتر، جان بول. (1966). *الوجود والعدم*. ط1. ترجمة، عبد الرحمن، بدوي. بيروت: دار الآداب.

- سليم بستريس، المطران. (1989). *اللاهوت المسيحي والانسان المعاصر*. المجلد الثاني. بيروت: منشورات المكتبة البوليسية.
- شفشق، محمود عبد الرزاق. (1982). *الأصول الفلسفية للتربية*. ط1. الكويت: دار البحوث العلمية.
- صليبا، جميل. (1882). *المعجم الفلسفي*، المجلد الثاني. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح. (15 أبريل، 2006). *الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية*. تم الاسترداد من موقع مكتبة نور: <https://2u.pw/Czjzz>
- علي، حسين. (20 مارس، 2019). *مفهوم الحرية عند سارتر*. تاريخ الاسترداد 17 أبريل، 2022، من موقع البوابة: <https://www.albawabhnews.com/3527486>
- عميرة، عبد الرحمن. (1985). *المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها*. تاريخ الاسترداد 15 أبريل، 2022، من <https://2u.pw/wxEt>
- غازي، الأحمد. (1964). *الوجودية فلسفة الواقع الإنساني*. ط1. بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.
- غلاب، محمد. (1965). *الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة من الشرق والغرب*. ط1.
- غلوس، مصطفى. (1985). *"الوجودية في الميزان"*. رسالة الامام، العدد 4.
- فرحان، يوسف. (1989). *الفلسفة الإسلامية وأعلامها*. ط1. جنيف، سويسرا: دار تردكسيم.
- ماكوري، جون. (1978). *الوجودية*. (ترجمة إمام، عبد الفتاح إمام، مراجعة: فؤاد، زكريا) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- مرسي، محمد منير. (1983). *فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها*. القاهرة: عالم الكتب، مطابع سجل العرب. تاريخ الاسترداد 03 23، 2019، من <https://2u.pw/nB2Re>
- ناصر، إبراهيم. (2001). *فلسفات التربية*. عمان. الأردن: دار وائل للطباعة والنشر.
- وي، غزة. (2010). *الفلسفة الوجودية*. تاريخ الاسترداد 04 16، 2022، من موقع iugaza: <https://2u.pw/wxEt>
- Larousse. (1980). *Dictionnaire encyclopédique*. canada: licence quant aux droits d'auteur et usager inscrit des marques pour le canada.
- Michelman, Stephen. (2010). *The A to Z of Existentialism*. Lanham, Maryland: The Scarecrow Press, Inc.
- Wartenberg, Thomas. (2008). *Existentialism: A Beginner's Guide*. Oxford: One World.